تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { وكم من قرية أهلكناها } أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذل الاخرة كما قال تعالى : { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } وكقوله { فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد } وقال تعالى : { وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين } وقوله { فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون } أي فكان منهم من جاءه أمر ا وبأسه ونقمته بياتا أي ليلا أو هم قائلون من القيلولة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو كما قال { أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون } وقال { أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف ا بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم } .

وقوله { فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين } أي فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا كقوله تعالى : { وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين } قال ابن جرير : في هذه الاية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم من قوله [ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم] حدثنا بذلك ابن حميد حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبدالملك بن ميسرة الزراد قال : قال عبد ا بن مسعود قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم] قال : قلت لعبد الملك : كيف يكون ذاك ؟ قال : فقرأ هذه الاية { فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين } وقوله { فلنسألن الذين أرسل إليهم } الاية كقوله { ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين } وقوله { يوم يجمع ا الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب } فيسأل ا الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته ولهذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الاية { فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين } قال عما بلغوا .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد

الكندي حدثنا المحاربي عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت زوجها والعبد يسأل عن مال سيده] قال الليث : وحدثني ابن طاوس مثله ثم قرأ { فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين } وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس في قوله { فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين } يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون { وما كنا غائبين } يعني أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقير لأنه تعالى الشهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين }